

إضاءات نقدية (فصلية محكمة)

السنة الأولى - العدد الأول - ربيع ١٣٩٠ ش / آذار ٢٠١١ م

## بين مولانا جلال الدين وحافظ الشيرازي؛

### دراسة موازنة في الغزليات العربية

مهدي ممتحن\*

منير أحمد شريعتي\*\*

#### الملخص

كثيرة هي الدراسات التي تناولت شعر مولانا وحافظ بالبحث والدراسة، حتى يخيل للباحث فيه أنه لم يعد شيء من هذا الشعر إلا وأخذ نصيباً وافراً من البحث والدراسة. ولكن حين ننظر في شعر مولانا وحافظ ثم نلقى نظرة على أبحاث الباحثين، نشاهد هناك شيئاً من الأدب الإيراني الإسلامي الذي ما اهتم الباحثون به إلا قليلاً، ألا هي الأشعار العربية عند مولانا وحافظ الشيرازي التي تحكى عن سعة البال والفكرة والمقدرة على اللغة العربية، لاسيما عند مولانا جلال الدين الرومي. ومع إعادة النظر إلى أشعارهما نرى أن أشعارهما مملوءة بالحكم التي تتبع من التعاليم القرآنية وفيه أيضاً التأثير بالآداب العربية ولاسيما الأدب العربي في العصر العباسي، مع سهولة في شعرهما العربي، كما نشاهد سعة الخيال وبعض أغراض الشعر العربي عندهما. يحاول هذا المقال أن يوازن بين الأشعار العربية لجلال الدين الرومي وحافظ الشيرازي، ويقدم من زاوية جديدة جوانب من تجربتهما الروحية، لتقريبهما من القارئ الذي لم تتح له فرصة الاطلاع على سيرتي صاحبيهما. الكلمات الدلالية: جلال الدين الرومي، حافظ الشيرازي، التغزل، الاقتباس، التأثير والتأثر.

\*. أستاذ مشارك بجامعة آزاد الإسلامية جيرفت.

\*\* خريج جامعة آزاد الإسلامية جيرفت.

Dr.momtahen@gmail.com

تاريخ القبول: ١٣٩٠/٢/١١ هـ. ش

تاريخ الوصول: ١٣٩٠/٢/١ هـ. ش

## المقدمة

من الصعب على الباحث أن يُمَسِّك بأسرار كشف علمي يدرس حافظ ومولانا أو إلهام شعري يتأملاه. ولكنه يستطيع أن يوضح تلك الأسرار ما تهيأ وتيسر له الإيضاح. ومن الصعب أيضا أن يتلمس الباحث قوة الخلق والتوليد عند الشاعر إذا كان غير مختص بلغة الشاعر وآداب قومه، ولكن هاتين الصعوبتين قد يجدهما القريب كما يجدهما البعيد.

إنها قضية شاقة جدا أن يتحدث أحدنا عن حافظ أو مولوى، لأن هؤلاء كانوا يعيشون عالما لم نعشه نحن، ويسلكون واديا لن نسلكه ويبصرون أشياء لم نبصرها، لهذا ليس بإمكاننا أن نفهم اللغة التي يتحدثون بها، وعباراتها لا يدركها فكرنا القاصر ولا أفقنا المحدود. ولهذا قد يلجأ البعض إلى رمي هذا بالزندقة، وذاك بالتمرد على الشريعة، وبشرب الخمر والخوض في لذائذ الحياة، اعتمادا على المصطلحات والمفردات التي يستخدمون هؤلاء في أشعارهم وكتاباتهم، ناسين أن هؤلاء لغة خاصة لانفهمها نحن، وإن لدينا أفقا فكريا ونفسيا يضيق عن استيعاب هذه المفردات وفهمها.

والباحثون في شعرهما لاسيما مولانا متفقون جميعا على عذوبة ألفاظهما وبعدهما عن الكلمات النابية والعبارات الواهية، ومجمعون على ما في هذا الشعر من إيقاع مؤثر ينجذب إليه القلب ويطرب له السمع وتفرح له النفس، إذ يصور نزعاتها الحسية والعلوية معا، وتبتهج به الروح إذ يسبح بها في جو من الأحلام والآمال والحرية والصفاء والإبداع.

## موجز من حياة الشاعرين

## مولانا، سيرة حياته وآثاره

«محمد بن محمد بن حسين بهاء الدين (بهاء ولد) (مولوى، لاتا: ٨) البلخي؛ يذكره أصدقاؤه وأحبائه بمولانا الذي تعنى في الفارسي (خداوندگار) (مولوى، ١٩٨٠م: ١١) هو أديب وفقه وصوفي.» ولد في السادس من ربيع الاول سنة ٦٠٤ق / ٣٠ ديسمبر

١٢٠٧م (مولوى، لاتا: ٨) فى مدينة بلخ وهى الآن فى افغانستان. وقد لُقّب بالرومى نسبة إلى أرض الروم، بلاد الأناضول حيث قضى معظم حياته. كان أبوه بهاء الدين ولد، من كبار علماء الدين وكان متكلماً إلهياً مشهوراً من شيوخ طريقة الكبروية (أتباع الشيخ نجم الدين كبرى). (مولوى، ١٩٨٠م: ١١) وقد تتلمذ بهاء الدين على الصوفى الكبير نجم الدين كبرى، مؤسس الطريقة الكبروية الذى تنبأ بغزو المغول لمدينة بلخ، فنصح أتباعه ومريديه بتركها قبل فوات الأوان. وهكذا ترك بهاء الدين ولد موطنه مع صحبه وأسرتة. كان جلال الدين آنذاك فى الخامسة أو السادسة من عمره، أخذت الأسرة تنتقل من مدينة إلى أخرى، وفى نيشابور التقى بالشاعر الصوفى الكبير، فريد الدين العطار. وتذكر الروايات أنه أخذ الطفل بين يديه وأهداه نسخة من منظومته أسرار نامه. (فروخ، ١٩٨١م، ج ٣: ٦٣١) لم تمكث الأسرة طويلاً فى نيشابور، فقصدت بغداد ومنها إلى مكة حيث ألفت رحلتها فترة فى سورية وكانت مركزاً مهماً من مراكز الحضارة الإسلامية. وخلال استقرار العائلة فى هذه البلاد قام جلال الدين بعدة زيارات لكل من حلب ودمشق. بعد هذه الرحلة الطويلة انتقل بهاء الدين ولد إلى بلاد الأناضول، أرض الروم ومن هنا جاء لقب الرومى. تلقى بهاء الدين ولد دعوة من السلطان علاء الدين كيقباد الذى جمع حوله علماء وصوفية من كل مكان فى العالم فاستقر المقام بهاء ولد وعائلته فى قونية حيث وافاه الأجل ٦٢٨ق/١٢٣١م، فخلفه ابنه مولانا جلال الدين فى الفقه والإفتاء والتدريس وأغلب الظن أن مولانا كان يحس آنذاك أنه لم يصل لمرتبته العرفانية، وكان يحس أنه حصل من العلم الظاهرى كل ما يمكن تحصيله، وكان مغرمًا بالشعر العربى وبالمتنبى خاصة، وهناك أبيات عديدة فى المثنوى تكاد تكون ترجمة لبعض أشعار المتنبى فى مواضعها من الشرح كما كان مفتوناً باللغة العربية. (مولوى، لاتا: ١٢) وبفضل ما كان يتمتع به من علم غزير ومن قدرة على التأثير، تحلّق حوله عدد كبير من الطلاب ومحبي العلم. وكان حتى ذلك التاريخ لم يؤثر عليه اهتمام واضح بالتصوف أو نظمه للشعر، ولعله أخفى ذلك لسبب من الأسباب أو للحفاظ على صورته كفقيه ورجل دين. واشتعلت نيران الحب عام ٦٤٢ق/١٢٤٤م فى يوم الإثنين. (مولوى، ١٩٨٠م: ١٤)

أو السبت، في السادس والعشرين من جمادى الثانية التقى مولانا، وكان في الأربعين من عمره بشخص غريب الأطوار يدعى شمس الدين محمد بن علي بن ملك داد التبريزي. (مولوى، ١٣٧٤ش: ٣٠) وهو درويش رحّاله لا يقرّ له قرار فقلب حياته رأساً على عقب وتحوّل الفقيه الورع ورجل الدين إلى شاعر وصوفي، لا يكاد يفيق من شدة وجده. لم يتحمل طلبه مولانا أن يروا أستاذهم وهو مخلص كل ذلك الإخلاص لهذا الغريب فأضرموا له العدا، وبدأوا يضايقونه فسافر خفية إلى دمشق. فحزن جلال الدين الرومي لفراق صديقه حزناً شديداً، ولما ساءت حاله ذهب ابنه الأكبر سلطان ولد إلى دمشق وعاد بشمس. لكن جور الطلاب عليه اشتد أكثر من ذي قبل، فاختلف من جديد إلى غير رجعة هذه المرة. وتذهب أكثر الروايات إلى أن تلاميذ مولانا ومريديه هم الذين قتلوه بتحريض من ابنه الثاني. لقد مرّ شمس التبريزي مروراً سريعاً في حياة مولانا ثم اختلف فجأة تاركاً في قلبه حرقاً لا تنطفئ كان من نتيجتها ديوان شعر كامل، تجلّت فيه استعداداته الشعرية كأحسن ما يكون التجلي هو ديوان شمس التبريزي، الذي كتبه تخليداً لذكرى صديقه. وتجيء قصائد هذا الديوان تحت ما يسمى بالغزل الصوفي وهو فنّ قائم بذاته برع فيه الشعراء الفرس إلى جانب براعتهم في فنّ آخر هو الرباعيات فتارة يناجى الشاعر محبوبه وتارة أخرى يتحدّ مع المحبوب مصوراً لنا ذلك بلغة المحب الذي توحدّ بمحبوبه حدّ الفناء. وهكذا بدأ هذا النهر الهادر بالتدفق فكان الشاعر يدخل فيما يشبه الغيبوبة، ويشرع في إملاء ما تجود به قريحته على إيقاع بعض الآلات الموسيقية ومن حوله مريدوه يسجلون ما يقوله.

ترك الشاعر جلال الدين لنا عدداً من المصنفات الشهيرة، نقسمها إلى قسمين: آثاره المنثورة وآثاره المنظومة. أمّا آثاره المنثورة، فهي دون مستوى آثاره الشعرية كمّاً وقيمة فهي: المجالس السبعة، وهو يشتمل على سبع مواعظ وخطب، ألقاها مولانا على المنابر أثناء اشتغاله بالتدريس. المكاتيب وهي مجموعة من الرسائل، كان قد كتبها إلى أصدقائه وأقربائه. كتاب فيه ما فيه. أمّا آثاره في النظم، فتلاثة أيضاً وهي: ديوان شمس تبريزي، ويشتمل على غزليات صوفية يقرب عددها من ثلاثة آلاف وخمسمائة غزل. وقد نظمه

نظما التزم فيه ببحور العروض على أبحر مختلفة، ويصل عدد أبياته إلى ٤٣ ألف بيت. فيه ملمعات بالتركية والعربية وأشعار كاملة باللغة العربية، ويشتمل أيضا على أشعار رومية. والرباعيات والمنتوى.

### حياة حافظ وآثاره

الخواجة شمس الدين محمد بن بهاء الدين، المعروف بحافظ الشيرازي إمام شعراء الغزل بلا ريب. (زليخة لاتا: ٨) والملقب بلسان الغيب وترجمان الأسرار، لقبه الدكتور إبراهيم الشواربي بشاعر الشعراء في القرن الثامن الهجري وفي إيران إلى يومنا هذا (حافظ الشيرازي، ١٣٧٧ش)، ولد في أوائل القرن الثامن في مدينة شيراز عاصمة ولاية فارس جنوب إيران عاش بين عامي ١٣٢٠ - ١٣٨٨م، ٧٢٠-٧٩١ق، أى بعد حوالي خمسين سنة من وفاة جلال الدين الرومي أكثر شعراء إيران الصوفيين شهرة.

رغم كل الشهرة الواسعة التي يحظى بها حافظ كشاعر، لكن تفاصيل حياته غير معروفة بدقة، وبعض الحكايات تتضمن إضافات (أسطورية) لا يمكن الوثوق بها أو الاعتماد عليها. ولكن تشير أكثر المصادر إلى أن كان أبوه بهاء الدين يشتغل بالتجارة في شيراز، وكان أصله فيما يقولون من أصفهان، أقام في شيراز وتزوج بها فأنجب ثلاثة أولاد كان أصغرهم (شمس الدين محمد). توفى بهاء الدين واجتمع أولاده الثلاثة حول أمهم، فظلوا في سعة من العيش، ثم فرقت بينهم الأيام، وذهب كل واحد منهم مذهبه، فاختلف معاشهم واضطربت حالهم وبقي شمس الدين وحده مع أمه، فأصابها عسر وضيق في الرزق مما اضطرت الأم إلى أن تدفع بولدها الصغير إلى واحد من أهل محلته ليتولاه برعايته، ويقوم على تربيته، وظل شمس الدين مع راعيه فترة من الزمن، ثم هرب منه لما لاحظ على سيده من سوء المعاملة وسوء الخلق، واشتغل خبازا، فكان يستيقظ كعادة الخبازين في نصف الليل ويقوم بعمله إلى الفجر، ثم يشتغل بالعبادة بعد فراغه من أعماله، فإذا ارتفعت الشمس في المساء توجه إلى مدرسة بالقرب منه، ففضى فيها قدرا من أوقات فراغه في الدرس والتحصيل، وكان يقتصد جزءا من أجره اليومي ليدفعه إلى

معلمه أجرا لتعليمه حتى استطاع أن يكمل القرآن الكريم حفظاً. ولذا اختار الخواجة شمس الدين، لقب (حافظ) أي حافظ القرآن، وقد أحبَّ هو هذا الاسم وراح يخاطب به نفسه في قصائده. (زليخة، لاتا: ٨) درس حافظ العلوم الدِّينية واللغتين الفارسيَّة والعربيَّة وآدابهما، وقد أحاط باللغة العربيَّة إحاطة تامَّة بشهادة ما نظم بها، وإن قليلاً، من شعر. (المصدر نفسه: ٨ - ٩) ترك حافظ ثروة أدبية غنية، وأشعارا تبلغ نحو ثمانمائة قصيدة، جمعت في ديوان مرتبة على حروف المعجم، مما ضيِّع على الباحثين فرصة الوقوف على التطور الذي حصل لشعره، وربط القصائد بمناسباتها.

### المضامين المشتركة لدى الشعارين

عند مولانا عدد كبير من الغزليات العربيَّة ضمَّنها ديوانه الكبير المعروف بكليات شمس أو ديوان شمس، يقارب عددها ألف بيت. جاء بعضها عربيًّا خالصا، وبعضها الآخر ملمَّعا بأبيات فارسيَّة، أو تلميعا لغزليَّة بالفارسيَّة أو مخلوطا أحيانا بتعابير وشطور فارسيَّة وتركيبية. وإنها تشكَّل من مجموع شعر مولانا نسبة اثنين بالمائة فقط، فإنَّ ذلك لا يضيرها كمَّا. إن ألف بيت من الغزل الصوفيِّ جدير بالاهتمام. وهو إن دلَّ على أنَّ مولانا لم يكن واسع الاطلاع على ما في تراث العربيَّة قديمه وحديثه فقط، بل كان قادراً على التعبير باللغة العربيَّة في ميدان الشعر، وهو أمر، كما نعلم، ليس بالسهل الميسر حتى لأبناء المتبحرين في لغتهم. ويبدو أنَّ إقامته في بلاد الشام في طريقه إلى قونية مع والده وأسرته ثم عودته للإقامة في دمشق وحلب، بعد استقراره في قونية ومخالطته أهل البلاد ولاسيما العلماء والصوفيَّة والشعراء يسَّرت له ذلك. وربَّما قصد المولويَّ إبلاغ أهل العربيَّة رسالته الصوفيَّة الروحيَّة وهو المرَبِّي الذي يشجع الجنس الإنساني على التسامى نحو خالقه، إذ لم يكن ممكنا أن يقوم بمهمته باستعمال الفارسيَّة في ديار العرب، ولا سيَّما في الشام.

ففاض الشوق منه، على البديهة، بلغة القرآن، لغة إيمانه، ومحور وحيه وتفكيره ومدار تطوافه العرفانيِّ في مكان وحالة من الانجذاب لم ترها عين، ولا سمعت بها أذن

ولاخطرت ببال بشر، وإذا كان القرآن موضع لذته، كانت العربية لسان حال هذه الملاذ. الجدير بالذكر، أيضاً، فى هذا المقام أنّ عدداً كثيراً من غزليات مولانا الرومى الفارسيّة البيان بدأها ببيت شعر عربى من نظمه، واستمرّ بعدئذ بالفارسيّة حتى نهايتها، إضافة إلى غزليات كثيرة مملّعة سار فيها هذا النحو.

وقد سار حافظ الشيرازى على النهج نفسه، وإن لم يبالغ فيه مثل مولانا، فافتتح ديوانه بشطر عربى يوازى بيتنا وهذا هو المطلع:

ألا يا أيها الساقى أدر كأساً وناولها      كه عشق آسان نمود أول ولى افتاد مشكلها  
(حافظ، ١٣٧٤ش: غزل ١٩)

وترجمته بالعربيّة:

«ألا يا أيها الساقى أدر كأساً وما فيها      فأوهام الغرام زهت لتورثنا مآسيه»

(عدد من المؤلفين، ٢٠٠٠م: غزل ١)

فلأن ديوانى الشاعرين شامل على مصطلحات عرفانية على شكل سواء، والمصطلح البارز عندهما هو الكأس والساقى والخمر، فبدأت الكلام بميزتهما البارزة فى أشعارهما العربية المعنون بإدارة الكأس وخطاب الساقى:

### إدارة الكأس وخطاب الساقى

طلب إدارة الكأس وشرب الخمر يكون أحد ميزات الشعر الصوفى التى لا توجد عند الشعراء الآخرين، والخمر عند حافظ ومولانا تمثال عن عشق المحبوب، فهذا هو حافظ الذى وضع مفتتح ديوانه طلب الكأس من يد الساقى لكى يتناوله منه:

ألا يا أيها الساقى أدر كأساً وناولها

كه عشق آسان نمود اول ولى افتاد مشكلها

وحيناً يخاطب الذين يريدون التلذذ من حب المحبوب باسم السكارى، ويطلب منهم

شرب الصبوح:

در حلقه گل ومل خوش خواند دوش بلبل

هات الصبوح هبوا یا أیها السکاری

(حافظ، ۱۳۷۴ش: غزل ۵)

شرب الخمر والمیسر فی الإسلام حرام، ولكن حافظ ومولانا نظرتهما تتغیر عما  
نظن، ونعلم حول الخمر والساقی والخمر عندهما هو العشق بالله العظیم فحافظ یبین  
نظرتة حوله قائلاً:

آن تلخ وش که صوفی أم الخبائثش خواند

أشهی لنا وأحلی من قبلة العذاری

(المصدر نفسه: غزل ۱)

فهو یرى أم الخبائث، أشهی من قبلة العذاری التي تكون معشوقة الخاصة عند الكثير  
من شعراء العرب. وحينما نراه يذكرها بأسماء شتى:

می دمد صبح وکلّه بست سحاب      الصبوح الصبوح یا أصحاب  
می چکد ژاله بر رخ لاله      المدام المدام یا أحباب

(عطائی، ۱۳۴۶ش: غزل ۲۳)

لقد نظم حافظ الكثير من الشعر فی الخمر وشربه، نذكرها ثم نهتم بمولانا وما جاء فی  
أشعاره من إدارة الكأس وطلب الخمر من الساقی وبيان الفرح والسرور لشربه.  
پیاله چیست که بر یاد تو کشیم مدام      ونحن نشرب شرباً كذلك الأقداح

(المصدر نفسه: غزل ۱۳۸)

بی می ومطرب بفردوسم مخوان      راحتی فی الراح لا فی السبیل

(المصدر نفسه: غزل ۳)

حافظ چو طالب آمد جامی به جان شیرین

حتّی یذوق منه كأساً من الكرامة

(المصدر نفسه: غزل ۶۰۸)



بیا ساقی بده رطل گرانم سفاک الله من کأس دهاق

(المصدر نفسه: غزل ۶۶۱)

صافی است جام خاطر در دور آصف عهد

قم فاسقنی رَحِيقاً اصفی من الزّلال

(المصدر نفسه: غزل ۶۶۴)

خذ الجام لا تخشى فيه الجنان که در باغ جنت بود می مباح

(المصدر نفسه: غزل ۶۹۹)

فی هذا السياق، تجنباً للإطالة، نثبت غزلیّة قصيرة بالعربیّة من ستة أبيات إيضاحاً

لنهج مولانا الغزلیّ، بلغة لم تكن لغته الأم. قال:

ألا يا ساقيا إني لظمآن ومشتاقُ إذا ما شئت أسراري أدر كاساً من النار  
أضاء العشقُ مصباحاً فصار الليلُ إصباحاً فداءً العشقِ أدوائی، ومُرُّ العشقِ حلوائی  
أدر كأساً ولا تنكر فإنّ القوم قد ذاقوا فأسكرني وسائلني إلى من أنت مشتاقُ  
ومن أنواره انشقت على الأحجار أحداقُ وإني بين عشاق أسوقُ حيثما ساقوا  
لنا في العشق جنّات وبلدان وأسواقُ لنا في العشق جنّات وبلدان وأسواقُ  
وخرمٌ فيه مدرارٌ وكأسُ العشق رقرقُ وخرمٌ فيه مدرارٌ وكأسُ العشق رقرقُ

(مولوی، ۱۳۷۸ش: غزل ۲۲۶۹)

### الحكمة عند الشاعرین:

شعر مولانا و حافظ کذلک ملیء بالحکمة والتصوف، ومن الممكن أن نقول أنّ

الشاعر الصوفی هو شاعر الحکمة أيضاً. فمن أقوال حافظ فی الحکمة:

وفا خواهی جفا کش باش حافظ وفا خواهی جفا کش باش حافظ  
الصبرُ مرٌّ والعمرُ فان الصبرُ مرٌّ والعمرُ فان  
هر چند کآز مودم از وی نبود سودم هر چند کآز مودم از وی نبود سودم  
دع التکاسل تغنم فقد جری مثلُ دع التکاسل تغنم فقد جری مثلُ

(حافظ، ۱۳۷۴ش: غزلیات ۲۵۱- ۴۱۸- ۴۲۶- ۴۶۱)

ومن أشعار مولانا في الحكمة:

سرسبز وخوش هرذره ای نعره زنان هرذره ای

كالصبرمفتاح الفرج والشكرمفتاح الرضا

السلم منهاج الطلب الحلم معراج الطرب

والنار صراف الذهب والنور صراف الولا

العشيق مصباح العشا والهجر طباخ الحشا

والوصل تریاق الغشا یا من علی قلبی مشی

(مولوی، ۱۳۷۸ش: غزل ۳۳)

اسباب عشرت راست شد هرچه دلم می خواست شد

فالوقت سیف قاطع لانتفتکر فیما مضی

(المصدر نفسه: غزل ۲۶۱)

أیا فؤاد فذب فی لظى محبته

ترید جبر جبر الفؤاد فانکسرن

(المصدر نفسه: غزل ۱۰۱۳)

### التخلص عند الشعارين

جرت العادة عند الشعارين الصوفيين، أن يذكر لَقْبَهُمَا الشعريّ في البيت الأخير من

الغزل، أو في البيت قبل الأخير، ويسمى هذا التخلص.

وأما مولانا فكثيرا ما نرى أنه تخلص بشمس تبريز، وأحيانا بالصمت، والسكوت.

(إبلاغ الأفغانى، ۱۹۸۷م: ۲۴) وهذا ما نراه على سبيل المثال في أبياته التالية من ديوان

غزلياته:

يا شمس تبريز قاضى وحالى

فتبريز وشمس الدين قصى

قد نطق الهوى اسكتوا استمعوا وأنصتوا

ألا فاسكت وكلمهم به صمت

(مولوی، ۱۳۷۸ش: غزليات ۳۳۵۸ - ۳۱۵۶ - ۳۱۱۰ - ۲۴۲۵ - ۲۲۷۳ - ۲۲۶۳ - ۲۱۲۰)

سکوتی عند أحرار غدا كشف أسرار

وراء الحرف معلوم بيان النور فى التعيين

سکتنا یا صبا نجد فبلغ أنت ما تدرى

وترجم ما کتمناه لأهل الحى حتى حين

(المصدر نفسه: غزل ۲۰۸۶)

الصمت أولى بالرصد فى النطق تهيج العدد

جاء المدد جاء المدد استنصروا یا مسلمين

اسکت یا صاح کفى واعف عفا الله عفا

هات رحيقا به صفا قد وصل الوصل وصل

(المصدر نفسه: غزل ۱۸۰۰ - ۱۳۶۰)

وهذا ما نراه تقريبا فى جميع غزليات شمس الدين محمد الذى تخلص فيها بحافظ، حتى إلى أن اشتهر اليوم بهذا التخلص ولا يعرفه الناس باسم شمس الدين، فإن قرأت غزلية على سبيل المثال، ثم قلت هذه من غزليات شمس الدين، فيرد أكثرهم القول بأنها من غزليات حافظ وليس شمس الدين، وبل نحن ماسمعنا بهذا الاسم من قبل.

حضورى گر همی خواهی از او غایب مشو حافظ

متى ما تلق من تهوى دع الدنيا وأهملها

حافظ به کنج میکده دارد قرار گاه

كالطير فى الحديقة الليث فى الأجم

لكل من الخلان ذخر ونعمة

وللحافظ المسكين فقر ومغرم

دل حافظ شد اندر چين زلفت

بليل مظلم والله هادى

به يمن همت حافظ اميد هست كه باز

أرى أسامر ليلى ليلة القمر

چند پوید به هوای توزهر سو حافظ  
يَسِّرَ اللهُ طَرِيقاً بَكَ يَا مُلْتَمِسِي

(عطائي، ١٣٤٦ش: غزليات ١٩ - ٤٩٣ - ٥٩٢ - ٦٠٨ - ٦٢٥ - ٦٤٩ - ٦٥٥)

### الدعاء لمقام وبلاد المحبوب

من الميزات المشتركة التي نراها عند حافظ ومولانا هي دعاء الخير لبلد الحبيب، وهذه الميزة تشير إلى أن مولانا وحافظ، لقد حظا حظا سواء من الأدب العربي، لأن كثيرا من أشعار شعراء العرب مملوءة بهذا الوصف وهذا النوع من الدعاء، يظهر بمصطلحات كحماك الله، أو سقاك الله، فهذا هو حافظ الذي يدعو أحسن الدعاء لحبيبه، ولمن يمدحه ويذكر فراقه يرجو لقاءه:

حماك الله عن شرّ النوائب جزاك الله في الدارين خيرا

(المصدر نفسه: غزل ١٢)

وكما ينشد في موقع آخر:

فِي جَمَالِ الْكَمَالِ نَلْتُ مُنِي صَرَفَ اللهُ عَنْكَ عَيْنَ كَمَالِ  
يَا بَرِيدَ الْحِمَى حَمَاكَ اللهُ مَرَحَبَا مَرَحَبَا تَعَالَ تَعَالَ

(المصدر نفسه: غزل ٤٤٤)

ويقول أيضا:

رَبِيعُ الْعُمْرِ فِي مَرَعَى حَمَاكُمْ حَمَاكَ اللهُ يَا عَهْدَ التَّلَاقِي

(المصدر نفسه: غزل ٦٦٢)

وهذا ما نراه عند مولانا، فهو يرجو كل الخير لبلاد المحبوب وينظم:

سقى الله أرضا شمس دين يدوسها كلا الله تبريزا بأحسن ما كلا  
نور الله زمانا حازنا الوصل أمانا وسقى الله مكانا بحبيب التقينا  
فظفرنا بقلوب وعلمنا بغيوب فسقى الله وسقيا لعيون رمقونا

(مولوي، ١٣٧٨ش: غزليات ٢٦٩ - ٢٧٢ - ٢٧٨)

## المدح عند الشعاعرين

مدح حافظ بعض الحكام والسلاطين ووزراءهم فى عصره فمنها هذه الأبيات:

أيا من علا كل السلاطين سطوة      ترحم جزاك الله فالخير مغنم  
لكل من الخلان ذخر ونعمة      وللحافظ المسكين فقر ومغرم

(فروخ، ١٩٨١م: ٨١٩)

أحمدُ اللهَ علىَ معدلةِ السُّلطانِ      أحمد شيخ اويس حسن ايلخانى

(عطائى، ١٣٤٦ش: غزل ٦٨٤)

وأما مولانا فليس شاعرا مادحا للحكام، بل هو يمدح كل من له تعلق بالله وحده، ويمكن أن نقول شخص الممدوح عند مولانا هو الذى عنده تقوى أكثر من غيره، فهو يمدح المتقين فقط، فنراه يصف ممدوحه ويرى كل شىء أمامه كالهباء:

يا سائلى عن حبه أكرم به أنعم به      كل المنى فى جنبه عند التجلى كالهبا

(مولوى، ١٣٧٨ش: غزل ٣٣)

أو أحيانا يصفه أفضل من الشمس وإلخ:

يا قمرا طالعا فى الظلمات الدجى      نور مصابيحہ يغلب شمس الضحى

(المصدر نفسه: غزل ٢١١)

ويرى حبيبه حيناً صاعقة أو ناراً:

أكنت صاعقة يا حبيب أو ناراً      فما تركت لنا منزلاً ولا داراً  
بك الفخار ولكن بهيت من سكر      فلسست أفهم لى مفخراً ولا عاراً  
متى أتوب من الذنب توبتى ذنبى      متى أجار إذا العشق صار لى جاراً  
يقول عقلى لا تبدلن هدى بردى      أما قضيت به فى هلاك أو طاراً

(المصدر نفسه: غزل ٢١٨)

المدح والوصف عند مولانا كثير، ومن الممكن أن نقول إن أكثر من سبعين بالمائة من كلييات شمس، يدور حول مدح حبيبه العارف والصوفى المتقى أو مدح الذات الأزلى الأبدى.

## ذكر الأطلال وآثار الحبيب وغداة البين

هذه هي إحدى ميزات شعرهما الخاصة التي تشير إلى تأثر مولانا وحافظ بالشعر العربي ولاسيما الشعر العباسي، ونحن نعلم أن وصف الأطلال والدمن والبكاء عند غداة البين، دخل أول مرة في الشعر الجاهلي، ومن الممكن أن نقول إن مولانا وحافظ تأثرا بهذا الشعر أولا، وبالشعر العباسي ثانياً. على كل حال، فهذا هو حافظ الذي يتكلم عن الدار والديار، كما تكلم أكثر الشعراء الجاهليين كلبيد بن ربيعة، ونراه أحيانا يذكر الأماكن الخاصة المذكورة عند شعراء العرب:

مَا لَسَلَمِي وَمَنْ بَدِي سَلَمٍ      أَيْنَ جِيرَانُنَا وَكَيْفَ الْحَالِ  
عَفَّتِ الدَّارُ بَعْدَ عَافِيَةٍ      فَاسْأَلُوا حَالَهَا عَنِ الْأَطْلَالِ

(عطائي، ١٣٤٦ش: غزل ٤٤٤)

وينشد أيضا:

بُشْرَى إِذَا السَّلَامَةُ حَلَّتْ بِدِي سَلَمٍ      اللَّهُ حَمْدٌ مُعْتَرِفٌ غَايَةَ النِّعَمِ

(المصدر نفسه: غزل ٤٤٩)

ونرى أنه يورد أسماء العريبات في شعره، مثل سلمى:

سَبَّتْ سَلَمِي بِصُدْغَيْهَا فُوَادِي      وَرُوحِي كُلَّ يَوْمٍ لِي يُنَادِي  
أَمَّنْ أَنْكَرْتَنِي عَنِ عِشْقِ سَلَمِي      تَزَاوَلْ أَنْ رَوَى نَهْكَو بَوَادِي  
سُلَيْمِي مُنْذُ حَلَّتْ بِالْعِرَاقِ      أَلَاقِي مِنْ نَوَاهَا مَا أَلَاقِي  
بَسَا كَهْ كَفْتَهُمْ أَزْ شَوْقِ بَا دُو دِيدِهِ خُودِ      أَيَا مَنَازِلِ سَلَمِي فَأَيَّنْ سَلَمَاكِ

(المصدر نفسه: غزل ٦٢٥ - ٦٦٢)

ويرى حافظ أهل نجد مدركون حاله:

يَا رَاكِبًا تَبْرِي عَنْ مَوْثِقِي وَهَادِي      إِنْ تَلَقَى أَهْلَ نَجْدٍ كَلِمَ بِحَسَبِ حَالِي

(المصدر نفسه: غزل ٦٦٤)

ومن الأطلال في شعره نشير إلى الأراك:

سَلَامُ اللَّهِ مَا كَرَّ اللَّيَالِي      وَجَاوِبَتِ الْمَثَانِي وَالْمَثَالِي

عَلَى وَاْدَى الْأَرَاكِ وَمَنْ عَلِيهَا  
أَتَتْ رَوَائِحَ رَنْدِ الْحِمَى وَزَادَ غَرَامِي  
پیام دوست شنیدن سعادت است و سلامت  
إِذَا تَغَرَّدَ عَنِ ذِي الْأَرَاكِ طَائِرٌ خَيْرٌ  
وَدَارِ بِاللَّوِي فَوْقَ الرَّمَالِ  
فَدَايِ خَاكِ دَرِ دُوسْتِ بَادِ جَانِ گَرَامِي  
مَنْ الْمُبْلَغُ عَنِّي إِلَى سُعَادَ سَلَامِي  
فَلَا تَغَرَّدَ عَن رَوْضِهَا أَنِينُ حَمَامِي  
(المصدر نفسه: غزل ٦٦٧ - ٦٧٢)

ويتحدث الشاعر عن مشاعره حين يلاقي دار الحبيب خالية عنه:

كَهْ دَرِ فِرَاقِ هِمَاوَازِ خُوِيَشْتَنِ مِيكَغْتِ  
أَيَا مَنْزَلِ سَلْمِي أَيِّنِ سَلْمَاكِ  
(المصدر نفسه: دوبیتی ١٦)

أما مولانا، فنراه أيضا يتكلم عن الأطلال ويتحدث عن بكائه غداة البين:

بَكَتْ عَيْنِي غَدَاةَ الْبَيْنِ دَمْعَا  
فَعَاقِبْتَ التِّي بَخَلْتَ عَلَيْنَا  
وَأُخْرَى بِالْبِكََا بَخَلْتَ عَلَيْنَا  
بَأَنَّ غَمَضْتَهَا يَوْمَ التَّقِينَا  
(مولوی، ١٣٧٨ش: غزل ١٠٩)

ونرى في بعض أبياته اسم جماعات كإخوان الصفا:

وگرت رزق نباشد من و یاران بخوریم  
فانصتوا واعترفوا معشرا أخوان صفا  
(المصدر نفسه: غزل ٢٦٣)

## الحب الإلهي

الحب هو محور العرفان والأدب بشكل عام، وهو اللغة الوحيدة التي يتحدث بها عرفاء الإسلام، بل وكافة المدارس العرفانية. ولهذا ليس غريبا أيضا أن يكون الحب أهم رسالة يوجهها ديوانا حافظ ومولانا إلى القراء.

والحب في الأدب الفارسي المنظوم له مظهران بارزان: الأول الحب الإنساني الذي نلمحه في مثنويات رودكي وعنصرى ونظامى، والثانى الحب الإلهي والذي ظهر لأول مرة في مثنويات سنائی والطار، وبلغ ذروته في مثنويات جلال الدين الرومي (مولوی). والحب الإلهي - أو العرفاني - ذو هدفين عادة: الأول هو التخلص بأخلاق الله، وتهذيب النفس، وإيصالها إلى مرحلة الكمال، والثانى هو الفناء في الله.

أما حافظ، كما ذكرنا في بداية البحث، فبعض الناس يظنون أن حبه إنساني، ويرى بعضهم حبه إلهيا خالصا، ولكن مولانا، فأكثرهم معتقدون أن حبه إلهي، وينشد مولانا نفسه حول حبه:

فرقت على الله عتيقى وجدیدی	الله مراد لی والله مریدی
فالغیبة عنه نفسا غیر سدید	لا خیر ولا میر، سوی الله تعالی
لا أمنع عن رب طریفی وتلیدی	لا أرفع عنه بصری طرفة عین
روحي، وعمادی، وعتادی، وعتیدی	مرا هو العین وبالعین تطری
یأتینی محیاه نصیری وشهیدی	صالحت وبایعت مع العشق علی أن
أن قد ملأ العشق مرادی بمریدی	لا أقسم بالوعد وبالصادق فيه

(المصدر نفسه: غزل ٣١٣٦)

### النتيجة

تأثر كبار الشعراء في إيران بالشعر والشعراء العرب مع ورود الفاتحين العرب المسلمين. واختلاط فن الشعر الفارسي بالعربي مثل التغزل باللغة العربية الذي نشأه في ديواني مولانا وحافظ. ورأينا وجود الشعراء الإيرانيين بقوة في عرصات الشعر العربي الذي أصبح اليوم سببا لاهتمام الباحثين العرب بإيران وعلمائها. كما لاحظنا مقدرة مولانا وحافظ في إنشاد شعر حتى مازال يبقى على ألسنة العشاق سواء يكون عشقهم مجازيا أو حقيقيا.

### المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

إبلاغ الأفغانى، عناية الله. ١٩٨٧م. جلال الدين الرومى بين الصوفية وعلماء الكلام. بيروت: الدار المصرية اللبنانية.

الرومى، جلال الدين. ١٩٨٠م. فيه ما فيه، أحاديث جلال الدين الرومى، شاعر الصوفية الأكبر. ترجمه عن الفارسية: عيسى على العاكوب. دمشق: دار الفكر.



- زلیخه، علی عباس. لاتا. غزلیات مختارة من دیوان حافظ. ترجمة شعرية إلى اللغة العربية. لاتا. حافظ شیرازی، شمس‌الدین. ۱۳۷۷ش. دیوان، ترجمه و شرحه إبراهيم أمين الشواربي. طهران: مهرا نديش.
- حافظ شیرازی، شمس‌الدین. ۱۳۷۴ش. دیوان غزلیات مولانا شمس‌الدین محمد خواجه حافظ شیرازی. بکوشش دکتر خلیل خطیب رهبر. تهران: انتشارات صفی‌علیشاهی.
- عطائی، مسعود جنتی. ۱۳۴۶ش. سفینه حافظ. تهران: چاپخانه حیدری.
- فرزین پور، نادر. ۱۳۷۵ش. آفتاب معنوی، چهل داستان از مثنوی جلال‌الدین محمد مولوی. تهران: انتشارات امیرکبیر.
- فروخ، عمر. ۱۹۸۱م. تاریخ الأدب العربي. لبنان: دار العلم للملایین.
- عدد من المؤلفین. ۲۰۰۰م. مختارات من الشعر الفارسی، منقولة إلى العربية. الكويت: دار الباطین.
- مولوی، جلال‌الدین محمد. ۱۳۷۸ش. کلیات شمس تبریزی: مطابق با نسخه تصحیح شده أستاذ بدیع الزمان فروزانفر. تهران: پیمان.
- مولوی، جلال‌الدین. ۱۳۷۴ش. کلیات دیوان شمس تبریزی، با مقدمه أستاذ جلال‌الدین همائی، به اهتمام منصور شفق. تهران: انتشارات صفی‌علیشاهی.
- مولوی، جلال‌الدین. لاتا. مثنوی معنوی مولانا جلال‌الدین، به کوشش دکتر محمد رضا برزگر خالقی. تهران: انتشارات زوار.
- الیافی، عبدالکریم. لاتا. الشرق والغرب والتواصل بينهما، حافظ شیرازی و یوهان فون غوتی. مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد ۸۰. الجزء الثاني.